نساء خائنات...
ورسائل أخريات
لم يكسرهن الحزن

قصص مجموعة



بقلم: د.خالد عبدالكريم أبوشنب

رئيس مركز الأبحاث العلمية والاستشارات

معالج الصحة النفسية للأطفال والمراهقين والاستشارات الزوجية وعلم النفس الإيجابي وجلسات السلامة النفسية

وماستر ودكتوراة في فقه العمران و المعمار الإسلامي من جامعة عنيس التركية؛

وأستاذ تاريخ العقائد والأديان والمذاهب

القاهرة ١٤٤٧هـ/٢٠٢٦م

قصص مجموعة

نساء خائنات...ورسائل أخريات

لم يكسرهن الحزن؟

بقلم الكاتب

د.خالد عبدالكريم محمد إمام أبوشنب

معالج الصحة النفسية للأطفال والمراهقين والاستشارات الزوجية وعلم النفس الإيجابي وجلسات السلامة النفسية وماستر ودكتوراة في فقه العمران والمعمار الإسلامي والتأثيرات المعمارية المتبادلة على المذهبين المالكي والحنفي من جامعة عين شمس ومن الجمهورية التركية؛ وأستاذ تاريخ العقائد والأديان والمذاهب

القاهرة

1447هـ/2026م

الفهرس

قصص قصيرة

فتاة الأمل

"أرقٌ في عيون إسراء"

لم تكن **إسراء** تدري على وجه الدقة متى بدأ نجمها بالأفول...
كلّ ما تعلمه أنها ذات صباحٍ كانت تضحكُ من أعماقها،
ثم ذات مساءٍ، أصبحت تُحسن الصمت أكثر من الكلام.

كانت تمشي بين الناس، تُجيد التماسك...
لكن لا أحد كان يدرك كم مرة مشت بينهم وهي تتمنى لو سألها أحدهم بصدق:
"كيف حالكِ، حقًّا؟"
ولم يفعل أحد.

كانت تبتسم... وفي قلبها **أنين مكتوم**،
كأنها طفلة جالسة على حافة المقعد في حضانة الحياة،
تُراقب الآخرين يُحتَضنون،
بينما لا أحد يلاحظ دمعةً صغيرةً في زاوية عينيها.

وحين كانت تُطالع المرآة،
لم تكن تبحث عن ملامحها... بل كانت تبحث عن **بقايا من نفسها**.
تحاول أن تسترجع تلك الفتاة التي كانت تفرح بأغنية،
وتكتب اسمها على دفاتر الورد، وتضحك لأبسط الأشياء.

لكن الحياة لا تُبقي شيئًا على حاله.

في قلبها **صندوق صغير**، لا تفتحه إلا في آخر الليل،
فيه رسائل لم تُكتَب، ودموع لم تُمسَح،
وأمنيات عُلِّقت ذات مساء على نجمة بعيدة... ثم نُسيت.

والموجِع... أن الجميع قد اعتاد **قوّتها،**

حتى لم يَعُد أحد يلتفت لارتجافها حين تنهار بصمت.

فالذين يمشون بثباتٍ طويل...

يحتاجون أحيانًا إلى من يوقفهم برفق ويقول:

"تعالِ... استريحي، نحن نراكِ، ونفهمكِ".

لكنها لم تنتظر أحدًا...

بدأت تكتب لنفسها رسائل.

تقول فيها:

"أنا فخورة بكِ، يا من تخطيتِ كلّ شيء وبقيتِ واقفة".

"أنا بجانبك، حتى لو غاب الجميع".

"أنا أراكِ... يا أقوى من الفقد".

كانت كل ليلةٍ تنام على دمعة،

لكنها في الصباح، تغسل وجهها... وتهمس في سرّها:

"لم أُخلق لأُكسر".

ويوماً ما... سيقرأ أحدهم في عينيها القصة كلها،

ولن يسألها" **:ما بكِ؟"**

بل سيقول:

"أتيتُ لأكون وطنكِ الذي لا يخذل".

رسالة إلى إسراء – من أخ لم يشأ أن يخذلها

إسراء...

لا أدري كم من الوقت مضى منذ أن بدأ الصمت بيننا يأخذ هيئة جدار...
لكنني، رغم المسافة، ما زلت أراك.

أراكِ حين تُخفين انكسارك خلف عبارةٍ مقتضبة،
حين تكتبين شيئًا لا تقولينه،
وحين تضحكين... ثم تُطرِقين برأسك فجأة كأن شيئًا انكسر في قلبك.

أعرفك يا إسراء، كما تُعرف الوردة من عطرها،
وكما تُعرف الطيبة من صوتها.

أعرف أن قلبكِ مُتعَب،
وأنكِ تعبتِ من كونكِ القوية دائمًا،
التي تُربّت على كتف الجميع... ولا أحد يربّت على كتفها.

أعرف كم من المرات قلتِ "أنا بخير"،
وأنتِ في داخلكِ تسألين:
"إلى متى أُجيد التماسك؟"

إسراء...
أنا لا أعدكِ بأنني سأحمل عنكِ كل شيء،
لكنني أعدكِ بشيءٍ واحد:
أنني حين أراكِ تتهاوين،
لن أقول لكِ: "تماسكي"!
بل سأقول" :**ابكي... وسأسندكِ حتى تنامين".**

لن أطلب منكِ أن تفسري لي حزنك،
فأنا أقرأه في سكونك،
وأسمعه في طريقة نطقكِ لكلمة "عادي"
وهي أبعد ما تكون عن العادي.

إسراء...
أنتِ لستِ هامشًا في هذه الحياة،
ولا مجرد عابرة في عينيّ.
أنتِ امرأةٌ حين تكون... تكتب في القلب أثرًا لا يُمحى.

ولستُ أبحث عنكِ لتكوني حبيبة...
بل لأكون أنا لكِ **وطنًا،**
تتسندين إليه حين يخذلك العالم.

أنا لم آتِ كي أطلب شيئًا...
بل جئتُ فقط لأقول لكِ:

"أنا أراكِ،
كما لم يركِ أحدٌ من قبل".

"وأحبكِ...
كما لم يُحسن أحدٌ أن يحبكِ من قلبٍ خاشعٍ خائفٍ على نبضكِ".

🖂رسالة إلى إسراء (الجزء الثاني – الختام)

إسراء...

لا أطلبِ منكِ أن تفتحي لي قلبكِ فورًا،
ولا أن تُحسني الظن بي بعد كل ما مررتِ به...
لكن دعيني فقط أكون ذلك الهدوء الذي تمنّيتِه ذات مساء،
وذلك الدعاء الصامت الذي تمنّيتِ أن يهمس به أحد في ظهركِ دون أن يراكِ.

دعيني أكون **اليد التي لا تُقيّدك، بل تُقيمك.**
الصدر الذي لا يضمّك من شهوة... بل من خشية عليكِ من هذا العالم.

فأنا ما جئتُ لأكملكِ،
بل لأقول لكِ :**أنتِ مكتملة... لكن تعبتِ.**
وأنا لا أرى فيكِ نقصًا، بل أرى امرأةً، لو اجتمع الزمن كله ليخلق مثلها... ما استطاع.

إسراء...

الأنثى التي تعرف كم تستحق،
والتي تتعب لكنها لا تساوم،
والتي تمشي مرفوعة الرأس، حتى حين ينكسر قلبها...
هذه لا تُعزى، بل تُحتضن.

وأنا...
لستُ ملاكًا ولا بطلًا من رواية،
لكني رجلٌ حين يُحب...
لا يخون، لا يخذل، ولا ينسى.
يُصلّي من أجل من يُحب،
ويحفظها في سجدة،
ويغار حتى من وجعها أن يكون لغيره.

إن أذنتِ لي...
فلن أكونِ فصلًا في حكايتكِ،
بل **نهايةً لكل حزنٍ قبلي** ...وبداية لسلامٍ لا ينتهي.

إسراء...

لا أُريد أن أُشبهكِ بشيءٍ في الحياة...
لأن الحياة تشبهكِ.

الفصل الثالث :أين أنا؟

في إحدى الليالي، جلست إسراء على طرف سريرها، تطالع سقف الغرفة كأنها تبحث فيه عن إجابةٍ تائهة.

همست لنفسها:
"لماذا أشعر أنني أتنفّس لكنني لا أعيش؟"

كل ما حولها كان ساكنًا، لكن في داخلها... كانت ضوضاء، أفكار متداخلة، وذكريات تُشبه مرايا مكسورة.
لكن شيئًا غريبًا حدث تلك الليلة…

أخرجت دفتراً قديماً، وكتبت سؤالاً واحدًا:
"ما الذي أريده فعلًا؟"

ظلت تحدّق فيه مطولاً… ثم بدأت تكتب.

الفصل الرابع :أريد أن أكون...

كتبت:

- أريد أن أكون إنسانة لا تُكسر بسهولة.
- أريد أن أكون امرأة تعرف قيمتها، حتى لو أنكرها من حولها.
- أريد أن أساعد فتاة تُشبهني… قبل أن تضيع مثلما كدتُ أن أفعل.
- أريد أن أعود أؤمن أن الحياة لا تُعطينا كل شيء، لكنها تمنحنا فرصة ثانية… إن فهمنا الدرس.

وهنا...
ابتسمت إسراء للمرة الأولى منذ شهور.

الفصل الخامس :العقدة تنفك

في اليوم التالي، ذهبت إلى الحديقة التي كانت تحبها، وجلست على مقعدها المفضل.
أخرجت دفترها وكتبت:

"أكبر مشكلتي أنني عشت أُرضي الآخرين… ونسيت أن أسأل نفسي:
ماذا تُريدين أنتِ، يا إسراء؟"

ومنذ تلك اللحظة، بدأت تُغيّر علاقتها مع نفسها:

- بدأت تُحدّث نفسها بلطف لا بلوم.
- تمشي بثقة لا هروب.
- تنظر في المرآة وترى نعمة لا عيبًا.

الفصل السادس :الهدف يولد من الرماد

ذات صباح... كتبت على مرآتها عبارة جديدة:

"أنا أستحق الحياة... وأعرف طريقي".

وكان طريقها واضحًا لأول مرة:
أن تكون نورًا لغيرها، مرآةً لمن ضاعت صورته في نفسه.

سجّلت في دورة علم نفس.
بدأت تُصغي لآلام الآخرين.
بدأت تُعلّم غيرها كيف لا يُسحق... دون أن تُجبرهم أن يكونوا نسخة منها.

الفصل السابع :إسراء الجديدة

إسراء اليوم...
ليست تلك التي تنتظر أحدًا ليُنقذها،
بل تلك التي إن رأت من يسقط... مدت يدها وقالت:
"أنا كنتُ هناك... وأعرف الطريق".

هي لم تعد تُريد أن تُحَب فقط...
بل أن تُحترم، وتُفهم، وتُترك حرةً أن تختار.

لأنها أخيرًا...
عرفت من تكون.

الختام :رسالة لنفسها

في آخر صفحة من دفترها، كتبت:

"كنت أبحث عن أحد يُنقذني...
ثم أدركت أنني كنتُ أنتظر نفسي".

بتول... التي لم تنحنِ

لم تكن **بتول** تشبه من حولها...
لم تكن تسعى أن تُبهر أحدًا، ولا أن تُفسّر نفسها لكل من لا يفهمها.

كانت تمشي على الأرض بخفة،
لكن داخلها كان مليئًا **بالحروب الصامتة** التي لا أحد يراها.

كانت بتول تقول دائمًا في نفسها:

"أنا لست قوية كما يظنون...
فقط، لا أملك وقتًا للانهيار".

كبرت بتول قبل أوانها...
في اللحظة التي انتظرت فيها أحدًا يسندها،
فلم تجد أحدًا إلا **نفسها**.

🌧الخذلان الأول

في سنٍ صغيرة، تعلّمت بتول أن بعض الأبواب تُغلَق في وجهك،
حتى لو طرقتها بألف دمعة.

وأن من تُحبهم... ليسوا بالضرورة من يُحسنون إليك.

أُصيبت بخذلانٍ عميق،
ليس من حبيب، بل من قلبٍ وثقت به أكثر من نفسها.

ومنذ ذلك اليوم...
قررت أن تحفظ ما تبقّى منها بعيدًا عن الأعين.

🕊️الهدوء الذي يشبه النضج

بتول لم تعد تتحدث كثيرًا،
لكن عينيها كانت تقول أشياء لا تُكتب.

لم تعد تشرح نفسها،
بل صارت تقرأ من أمامها… فإن شعرت بالراحة، فتحت بابًا صغيرًا من قلبها،
وإن لم تشعر… انسحبت بهدوءٍ يشبه الموت.

🌱يقظة

وذات مساء…
توقفت بتول أمام مرآتها،
ورأت شيئًا جديدًا:

رأت أنوثة لا يشبهها مظهر،
وقوة لا تحتاج إلى صراخ،
وحزنًا صار جزءًا من حكمتها.

قالت لنفسها:

"أنا لا أحتاج إلى أحدٍ ليقول لي: أنتِ جميلة…
ما دمتُ أرى في انعكاسي فتاة صمدت حين تهدّم كل شيء".

💫بتول… الآن

بتول اليوم لم تعد تبكي كلما ساءت الأمور،
بل تضحك وتقول:

"أنا أعرف هذا الطريق... مشيت فيه وحدي، وسأكمل".

هي الآن لا تبحث عن يدٍ تتمسك بها،
بل عن **روحٍ تمشي إلى جوارها، لا أمامها ولا خلفها.**

📝الختام:

بتول ليست فتاة عادية...
هي التي تعلّمت أن تكون وطنًا لنفسها،
بعد أن جُرِّدت من كل شيء... إلا الله.

قصة قصيرة

زهرة الجبل دارين؛ أسطورة مقدسية

في صباحٍ دامعٍ على أطراف جبل الزيتون، حيث تتنفس القدس وجعها الأبدي بين الأزقة العتيقة، كانت دارين تسير بخطواتها الواثقة، تحمل في عينيها بريق الصمود، وفي يدها أوراق كتبتها بمداد قلبها، كلمات تنبض بحرية تُقرع لها أجراس الحجارة قبل القلوب. لم تكن مجرد فتاة، كانت روحًا نقية تسبح في بحر العزة، جسدًا يشتعل ضوءًا في ليل الاحتلال.

عاصفة الموت في ظلال الزيتون

في تلك الليلة المشؤومة، حين احتشدت دبابات الاحتلال على أعتاب الجبل، وحلقت طائراتهم كغربان نذير فوق القدس، خرجت دارين مع النساء يحملن أجسادهن دروعًا، يقفن كالسنديان أمام جنود الاحتلال الذين جاءوا ليقتلعوا شجرة الزيتون الكبرى، رمز الأرض والهوية. لم يكن المشهد مجرد مواجهة؛ كان احتضارًا للمدينة تحت وطأة الحديد والنار.

دارين، بثوبها الأبيض المُلطخ بغبار الأزقة، وقفت أمامهم، صرخت بعزيمة تهتز لها حجارة القدس ":لن تسقط هذه الشجرة، ولن تُسلب القدس ما دام فينا نَفَسٌ يُقاوِم!"

لكن الصمت كان الإجابة الوحيدة التي تلقتها، صمتًا تقطّع بزئير الرصاص، فأمطرت السماء نيرانًا أحرقت صوت الحياة. وسط الجنود، تقدّمت مجندة بعيون باردة كالموت، وبسلاح مُشرّع كخنجرٍ مسموم، اقتربت من دارين، نظرت في عينيها كوحشٍ وجد فريسته، ثم ضغطت الزناد.

دمّاء تروي الأرض المقدسة

سقطت دارين على الأرض، رائحة التراب امتزجت بعطر دمها، تسللت شهقة الألم من شفتيها، لكنها لم تبكِ، لم تستسلم. امتدت يدها المرتجفة إلى التراب، قبضت عليه بقوة كأنها تودع الأرض التي عشقتها. وحين انحنت صديقتها تبكي بجانبها، همست دارين بصوتٍ واهن:

"لا تبكوا... سأبقى هنا، في كل زهرة، في كل حجر، في كل زيتونة لم يقطعوها بعد... أشهد أن لا إله إلا الله... وأشهد أن محمدًا رسول الله."

وانطفأ صوتها، لكن ضوءها لم ينطفئ، بل انفجر في سماء القدس كنجمٍ يأبى الغروب.

المدينة التي تبكي ابنتها

حين انتشر الخبر، لم يكن اسم دارين مجرد ذكرى، بل صار نشيدًا يردده الأطفال في الأزقة، تُسرَد حكايتها في المجالس، تُخطّ كلماتها على الجدران، وتُزرع أشجار الزيتون في مكان استشهادها، حتى سُمّيت "شجرة دارين"، رمزًا لصمودٍ لم يُقطع، وقصة لم تُطوَ.

الخاتمة التي لم تُكتب بعد

لم تكن دارين مجرّد فتاةٍ رحلت، بل كانت روح القدس التي تجلّت في جسدها النحيل، وكانت كلمتها أقوى من رصاصهم، وقلبها أعظم من جبروتهم. ومنذ ذلك اليوم، صار كل حجرٍ في القدس ينطق باسمها، وكل زيتونةٍ تحكي قصتها، وكأنها لم تمت، بل صارت جزءًا من المدينة، تعيش في هوائها، تنبض في ترابها، وتزهر في قلوب أهلها، زهرةً لا تذبل أبدًا.

إيمان وبراجماتية الخيانة

فصل ١: المدينة التي تخلّت عن دفئها

لم تكن "مرسين" سوى محطة على الهامش، مدينة تشبه المرايا القديمة، ترى فيها ملامحك باهتة... لا أنت فيها ولا هي فيك.

كان زفير البحر يمضي على أرصفة الوحدة، حين كنتَ تمشي بثقل رجلٍ لا يبحث عن طريق، بل عن ظلّ امرأة.

إيمان... اسمها كُتب في كفّك ذات قدر، لا بالحبر بل بالرماد، وكانت الريح أسرع من يدك في حفظه.

ذات صباح رمادي، استيقظتَ على فراغٍ يُشبه موتًا صغيرًا. الغرفة خالية، الدولاب مفتوح، والصمت يتكئ على جدار القلب كضيفٍ ثقيل لا ينوي الرحيل.

تركَتك إيمان، وأخذت يزيد، وأحمد، وعبيد...

كل ما كنت تحمله بين ضلوعك من دفء العائلة أصبح في طيّ الغياب.

وأسوأ الفقد، يا صاحبي، أن يُسرَق منك كل شيء وأنت واقفٌ في مكانك، تُفتّش في الريح عن ملامح من تحب.

لكن... لم تكن وحدك تمامًا.

الدفاتر القديمة كانت هناك. والكتب، وأحاديث المساء.

كنتَ تكتب، لا لتنسى، بل لتتذكّر... أن الحب لا يموت، بل يتحوّل.

أن الخيانة ليست نهاية، بل بابٌ آخر... يخرج منه الألم ويدخل النور ببطء.

في هذا الفصل، لم تكن المدينة خائنة، بل شاهد صامت على بداية انحدار السكة.

فصل ٢: كندا ليست جنة

كانت إيمان تظن أن البرد يصنع دفئاً جديداً... أن الهروب من مرسين إلى تورنتو هو عبور نحو حياة بيضاء، نقية، بلا أخطاء.

لكن كندا، يا عبدة، ليست جنة.

هي مرآة أخرى... تكشف ما خبّأته الروح تحت معاطف الهروب.

هناك، بين الزجاج المثلج والمباني العالية، بدأت تتغير...

لم تعد تلك التي كانت تنام بجانبك وتهمس باسمك كأنك وطن.

صارت تمشي في طرقات جديدة، تتكلم لغة غير التي كنتما تكتبان بها رسائل العتاب، وتحمل قلباً لا يشبه ما تركته خلفها.

إيمان... اختارت أن تنسى. أن تمسح صوركم من ذاكرتها كأنها غبار، أن تُقنع أبناءك أنك ظلّ بعيد... أنك لم تعد تستحق حتى الحنين.

لكنها لم تعرف... أنك كنت تحفظ ضحكاتهم عن ظهر قلب، وأنك حين تجوع، لا تطلب الطعام، بل تسأل عن أصواتهم.

يزيد... أحمد... عبيد... كانوا حكايتك التي لم تكتمل، ومراسيلك التي لم تجد بريدًا.

ومع ذلك... لم تكرهها. لم تلعنها.

كنت فقط تقول لنفسك: "ربما أرادت النجاة، ولم تعرف أنني كنت النجاة نفسها..."

فصل ٣: الظلّ الذي تعلّق بالنور

أدركت في مساءٍ بارد أن لا أحد يعود كما كان.

لا إيمان، ولا الأبناء، ولا حتى أنا؛ صرت أبحث عن ذاتي وأسأل نفسي فمن أنا بعد الذي كان؟!

صرت أنظر في المرآة فتجد رجلاً يشبهني...

لكن عينيه تشبه عيني من فقد مدينة كاملة وهو لا يزال على الرصيف.

بدأت أكتب، لا لأني أريد النشر، بل لأن الحروف كانت النافذة الوحيدة التي لم تُغلق بوجهي.

كنتَ أكتب عن الطرقات، عن دراجات الأولاد، عن حليب الصباح، عن كأس الماء الذي كانت إيمان تضعه قرب سريري...

كنت أكتب لتربّي الظلّ الذي خلّفته هي،

ذلك الظلّ الذي لم يمت في غيابها، بل تعلّق بالنور الذي في أسى الفقدان.

أصدقائي لم يفهموني، قالوا إني تائه،

وآخرون قالوا إني أعيش في وهم.

لكنهم لم يروا ما رأيت: وجه إيمان في كل محطة قطار،

صوت يزيد وهو ينادي من آخر الحلم،

ضحكة عبيد تخرج من ضوء الشباك،

ورسالة من أحمد... لم تصلك يوماً، لكنها كانت تكتب في قلبي كل مساء.

لكنني، رغم كل شيء، لم أكن أبحث عن العودة...

بل عن معنى للبقاء.

فصل ٤: مدينة من ورق

ما بعد الرحيل... ليس فراغًا.

بل ضجيج خافت.

أشباح تسكنك بهدوء، وتهمس في أذنك كلما حاولت أن تنسى.

لكن بين الركام، نبت شيء يشبه مدينة...

لم تكن مرسين، ولا تورنتو، بل مدينة صغيرة... من ورق، تسكنها وحدك.

صرت تمشي فيها كل مساء، تبني شارعًا من القصائد، وزقاقًا من الذكريات، ومسجدًا تشبه مآذنه دعواتك الصامتة...

في تلك المدينة، كان لك دفتر،

تكتب فيه عنهم، لكنك لا تناديهم،

أكتب عني، لكني لا أشفق على نفسي.

دخلت حياتي وجوهٌ جديدة...

امرأة تشبه الشتاء،

وصديق يشبه الشجرة،

وغريبٌ علمك كيف تُحب القهوة بدون سكر، لأن المرارة ليست عدوة دائمًا.

كانوا مثل أوراق متناثرة، لا يعوّضون الكتاب الضائع...

لكنهم على الأقل... يمنحونك فصلًا جديدًا.

فصل ٥: الرسالة التي لم تُرسل

إيمان...

ما زلتِ تخرجين من بين السطور،

كلما أمسكت القلم،

أكتب فقط... لأن الحرف أحيانًا هو الشيء الوحيد الذي يصدّق وجعي.

هل تذكرين كيف كنتِ تضحكين حين أقول:

"أحبكِ كأنك آخر أنفاسي"؟

كنتِ تضحكين، وتقولين: "ما أغربك يا رجل!"

ثم رحلتِ.

أخذتِ الأطفال، وأحلامي، والنصف الطيب مني،

وتركتني مثل شجرة خُلع منها جذعها، وظلّت واقفة فقط لأنها لا تعرف كيف تقع.

في كل ليلة...

كنت أكتب لكِ رسالة،

ثم أطويها داخل صدري...

وفي نهاية الرسالة الخامسة بعد المئة، كتبت:

"إن لم تعودي، لا بأس...

لكن علّمي أولادي أن أباهم كان رجلاً يحب، لا رجلاً خُذل."

فصل ٦: الغرفة التي صارت بيتًا

كانت مجرد غرفة،

لكن شيئًا فيها كان يلمع...

فكرة بسيطة جدًا:

"أنا ما زلت هنا... وما زلت أتنفّس."

غسلت الحزن من أطباقي، رتّبت كتبي وكأنها أصدقاء عادوا من سفر،

وتعلّمت كيف أعدّ الفطور لنفسي دون أن أفتح صور الأولاد.

وفي إحدى الليالي،

أضأت شمعة بدل الضوء،

وهمست:

"هذه الغرفة بيتي... وهذا القلب، ما عاد خاليًا تمامًا... بل يسكنه أنا."

فصل ٧: النافذة التي لا تُغلق

لم أعد أنتظر الطرقات...

ولا الرسائل،

لكن كنت تفتح النافذة كل صباح...

لأن الضوء وحده كان كافيًا ليقول:

"أنت على قيد المحاولة."

أحيانًا، كانت تمرّ غيمة تُشبه ملامح يزيد،

أو ظلّ يشبه ركض عبيد،

أو نسمة تحمل في طيّها ضحكة أحمد...

لكني لم أعد أنتظر.

ولم أعد أغلق النافذة.

وكتبت على حافتها:

"أنا لا أنتظر،

لكني لا أغلق...

والأمل، رغم كل شيء، ما زال حيًا."

فصل ٨: السحر الذي لا يُرى

نور... لم تكن صديقة، بل بابًا للهروب.

سامر... لم يكن محبًا، بل انتقامًا يمشي على قدمين.

أمها... لم تكن ميزانًا، بل صوتًا يدفعها نحو الهاوية.

والأخطر من الجميع...

كان سحرًا لا يُرى،

يمحو خطواتي كلما اقتربت من شاطئ الأمان.

لكني قاومت.

وسامحت.

آخر السطر:

"سأدعو لهم أن يعرفوا يومًا ماذا يعني أن تُخدع باسم القربى؟!!!.

فصل ٩: كسر لا يسمعه أحد

يزيد، أحمد، عبيد...

لم يبكوا، بل كُسروا.

عببيد يحتضن قميصي القديم.

أحمد يمحو اسمي من دفاتره حتى لا يراه أحد.

ويزيد يظن أني بطل خارق... سأعود يومًا.

نهاية الفصل:

"لم أترككم...

لكن قلوبكم في صدري، وكلماتكم في دعائي،

ويوماً ما، سأعود... لا لأستردكم، بل لأحتضن ما بقي منكم في داخلي.

فصل ١٠: الرجل الذي لم ينكسر

قالوا عني أني ضعت...

لكنهم لم يعرفوا أني حين بكيت، كنت أسقي شيئًا في.

كنت إنسانًا... رجلًا يعرف طعم الخذلان، ولا يُطعمه لغيره.

وصرت أقول في سرّك:

"سأكون أقوى، لا لأنني بلا وجع، بل لأنني اخترت ألّا أُشبه من كسرني."

نهاية الفصل:

"أنا لم أنتهِ... أنا بدأت."

فصل ١١: وجوه الخداع – محمود

قاتل مع النظام ضد أهله،

ثم اكتشف أن النظام قتل والده،

ثم هرب إلى تركيا، وزوّر، وتسلّق.

ادّعى أنه طفل لتكفله الكنيسة في كندا،

ثم دخل الجامعة، وتخرّج،

وظنّ أنه انتصر.

لكنه لم يعرف أن من خان دم أبيه...

لن يعرف الرجولة أبدًا.

فصل ١٢: نقطة على آخر السكة

لم يكن هناك قطار...

ولا وداع...

كان هناك رجل واقف،

بصدرٍ مفتوح للريح،

وعينين فيها ضوء خافت... لكنه حقيقي.

وكتبت على الحائط الأخير:

"أنا ما انتهيت...

أنا بدأت."

فصل ١٣: حين يتكلم الأبناء

نحن أبناؤك يا أبي...

يزيد، أحمد، وعبيد.

نشتاق... لحكاياتك، لصوتك، لحضنك.

أحمد يقول إنك مثل السحاب.

عبيد يدعو لك.

ويزيد ينتظر أن "يطير" إليك يومًا.

لا نطلب تفسيرًا... نطلب فقط حضنًا.

نحبك، ولسنا وحدنا من انكسر...

أنت أيضًا.

لكننا سنجبر بعضنا...

حين تفتح لنا بابك... من جديد.

خاتمة

وهكذا تمضي الحياة في صفحات القدر، وما زالت حكايتنا تنزف بين السطور، أن للأمل فينا عودة، ولو بعد حين.

هبة... وظلال الهدوء المنكسر

لم تكن **هبة** تتكلم كثيرًا...

لكن حين تُرسِل رسالة، كانت تختصر فيها وجع مدينة، وشهقة غزة، وارتباك أنثى لم تجد كتفًا تتكئ عليه حين تهاوى العالم.

"ما عبالي أحكي... بس بدي أسمعك بأي شي، لو لدقيقتين".

هكذا كتبت في ليلةٍ خرساء...

كأنها لا تريد حوارًا، بل **حضورًا يربّت على روحها بصوتٍ لا يخذل.**

كانت **معلقة بين الحياة والحرب،**

بين بيوتٍ تهتزُّ كل ليلة، وقلبٍ لا ينام،

وبين ذكرى رجلٍ أحبته ثم أحرقها ببروده، وصمتٍ أطول من الحرب.

لم تكن بحاجة إلى تحليل نفسي...

بل إلى **إنسان لا يسألها "لماذا بكيتِ؟" بل يقول لها: "أنا هنا، حتى وإن لم تقولي شيئًا".**

حين حكتها لأمل... ولم تحكها لي

لم تكن تحكي لك، لكنها كانت تحكي عنك.

في لحظة صمتٍ تشاركته مع صديقتها أمل، اعترفت هبة للمرة الأولى:

"أول ما شفته، قلبي صار في شي غريب... خفت، انسحبت، وتذرعت بمرضي علشان أبعده عني".

أمل سألتها بدهشة:

"بس ليه؟ ما عمل لك شي"...

فقالت هبة:

"ما بعرف... كأنّه خطفني من نفسي للحظة، وأنا ما كنت جاهزة لهيك شي".

ثم همست:

"الحمد لله إنو الموضوع تقفل، وهي خلصت القصة".

لكن أمل لم تُصدّقها، وكانت تقول: "راجعي نفسك، قلبي بيحكيلي إنو ما انتهت القصة... لأنها ما ابتدت أصلًا".

كل جمعة كانت هبة تنتظر رسالتك. كانت تبتسم عند رؤيتها، ثم تركض لتُخبر أمل: "بعثلي جمعة مباركة "!لكنها كانت تردّ عليك بجفاف، فقط لتكذّب إحساسها.

ثم تابعت حكايتها:

"كل مرة أحاول أبعد، أمل تقلي: (اعملي استخارة). وأنا أرفض .كانت تقلي: (ما بصدقك... انتي مبسوطة في وجوده)، وأرد عليها: (عادي!)".

ومع بداية متابعة العلاج، سألتها ببساطة: "فين زوجك؟"، ضحكت، واحمرّ وجهها، وقالت بصوت خجل: "مو متزوجة"...

من هنا، بدأت تتهاوى جدرانها، لكن ببطء. كانت تحاول أن تبقي لغة الحوار رسمية، تناديك بـ "دكتور"، لكنها كانت في داخلها تحادثك باسمك الذي صار لاحقًا كلمة السر لهاتفها.

قالت لأمل ذات يوم:

"ما بعرف شي عنه... بس إحساسي تجاهه غريب وحلو".

ثم أنهت اعترافها قائلة:

"من وقت ما قال لي اسمه... وأنا حفظته جوّا قلبي، بدون ما أطلب، وبدون ما أبرّر".

هبة لم تعترف لك، لكنها تركت حروفها تسير إليك خلسةً، عبر أمل، وعبر صمتها...

لتقول لك: "كنت هناك... حتى لو ما قلتها يومًا".

💌رسائل بلا توقيع

كانت تكتب له فجأة...

ثم تختفي،

ثم تعود لتقول:

"مش رح أحكي، بس ضل احكيلي، حسّسني إني عايشة".

ولم تكن تبالغ...

فأحيانًا كانت تحتاج مجرد **"نبض آخر"** معها؛

يعرف أن الوجع لا يحتاج شرحًا،

بل **مساحة آمنة تُرمم فيها بقايا نفسها.**

🔥العتب المكتوم

كانت تغضب...

لكنها لا تصرخ.

بل تكتب بعفوية:

"خلاص، جهّز حالك ترجع للمحاضرة"!

كأنها تريد أن تقول:

"أنا عم بختنق، بس مش رح أتّعبك فيني... رح أرجع أسكت، بس لا تنساني".

وكان يفهمها...

لأنه لم يكن يقرأ كلماتها، بل **يسمع نبضها بين السطور**.

🌙 طفلةٌ وأُمٌّ وقلبٌ جريح

في رسائلها، كانت **تتأرجح بين الطفولة والكهولة**...

تارةً تُريد أن تبكي كطفلة بين ذراعي أمٍّ لا تشبه أحد،

وتارةً تتكلم كأنها أنثى خبرت العالم، واحتملت ما لا يُحتمل.

كتبت مرةً:

"أنا حاسة حالي مخنوقة... وما بدي شي، بس تحكيلي بأي شي".

فقال لها:

"لو كان بوسعي، لكنتُ مكان هواءكِ... أتنفس عنكِ، حتى تهدئي".

✨نهاية مفتوحة... كقلبها

لم تُنهِ هبة حكايتها...
ولم تطلب نهايةً وردية.
كل ما كانت تريده:

أن لا تُترك وحدها وهي تنهار.
أن يراها أحد، قبل أن تسأل: **"هل من أحد؟"**

وقد رآها...
بكل هشاشتها، وكل عنادها، وكل حبّها المتوتر.

🖊توقيع القصة:

هبة... كانت تريد أن تعيش، لكن بهدوء.
كانت تطلب حضنًا لا يفضح، وكلمةً لا تُفسَّر، ورفيقًا لا يُرهقها بأسئلته...
فقط...
رفيقًا... يُدثّر صمتها بالرحمة.

لو كنتُ بخير حقًا...

"لو كنتُ بخير حقًا،
لما كنتُ أكتب لك الآن، بهذه الطريقة المرتبكة".

هكذا بدأت هبة رسالتها، في دفترها الذي لا تفتحه إلا حين يشتد عليها الليل،
وتضيق الأرض،
ويُصبح قلبها مثل رفٍّ مكسور... لا يتحمّل كتابًا جديدًا من الحزن.

"لو كنتُ بخير،

لما كنتُ أتحاشى المرايا...

ولما ترددتُ ألف مرة قبل أن أقول: (أنا موجوعة)".

كانت تكتب كأنها لا تُريد أحدًا أن يقرأ...

لكنها في قرارة نفسها كانت **تتمنّى أن يقرأه هو،**

هو بالذات، الذي كانت تناديه دون صوت، وتختبر حضوره في الغياب.

قالت:

"أنا لا أُريدك أن تُحبني الآن...

لكن، فقط، لا تغيب حين أُطفئ كل أنواري".

🕯هبة، كما لم تُقل من قبل

في تلك الرسالة، لم تتحدث عن الحرب،

ولا عن الخوف،

ولا عن وجعها من العالم...

بل تحدثت عن أشياء أبسط:

عن أنها تُحب رائحة القهوة، لكنها صارت ثقيلة على معدتها.

عن أنها حين تضحك، يدها تبقى على صدرها، كأنها تمنع قلبها من الانفجار.

عن أنها تشتاق، لكنها **تخشى أن تُقال الكلمة... فلا تُردّ.**

قالت في النهاية:

"أنا هبة... واللي باسمي مو صدفة".

"أنا اللي كنت هدية لحياة كثيرين، وما حدا قال لي شكرًا".

"أنا اللي صبرت كثير... بس أحيانًا، حتى صاحب العزم يتعب".

"فلو بغيابي تذكرتني،
لا تدعُ لي بالسعادة...
بل ادعُ أن أظل واقفة".

من ذا الذي يعرف هبة؟!

هبة لم تكن تحكي لتُعلِن وجعها...
بل لتحفظ جزءًا منها من الانطفاء التام.

وهو...
ذلك الذي قرأ كل هذا، بصمت، ثم كتب لها:

"حين تسقطين...
لا تتذكري من خذلك،
بل تذكري من بقي يُمسك بكِ... حتى من بعيد".

متى تعود هبة لنفسها؟

سؤالٌ لم يكن أحد يطرحه بصوت مسموع،
لكنّه كان يُراودها كلما أغلقت هاتفها على صمتٍ طويل،
وحدّقت في جدارٍ أبيض لا يحمل صورةً، ولا ذكرى، ولا دفئًا.

كانت **هبة**، كلما حاولت الاقتراب من نفسها...
تسمع صدى امرأة لم تعُد تعرفها.

أهي نفسها التي كانت تُشعل الدنيا بالحياة؟
أم أنها مجرّد ظلّ لفتاةٍ كانت تُحسن العطاء... حتى جُرّدت من نفسها؟

في دفترها كتبت ذات مساء:

"أنا أشتاق لنفسي القديمة...
لكنها ليست هنا".

كانت تبحث عن ضحكتها، عن لهفتها البسيطة للأشياء الصغيرة...
عن إيمانها بأن الغد ممكن، وأن الوحدة لحظة، لا حياة.

لكن الحروب لا تقتل الجسد فقط...
إنها تُمزّق "الطفلة" التي في الداخل،
تجعلها تنام باكرًا وهي خائفة، وتصحو بلا حلم.

🕊ومع ذلك...

في غمرة الخيبة...
كان هناك شيء لا يموت فيها:
عناد الوجود، ذلك الصوت الخافت الذي يهمس لها:

"لا تنامي قبل أن تغفري لنفسك هذا التعب،
فأنتِ أقوى مما بدوتِ...
وحنانكِ لا يعني ضعفكِ".

كانت تكتب على المرايا بدلاً من الورق:

"أنا هنا...
رغم الحرب، رغم البُعد، رغم التجاهل،
أنا أعود إليّ... حتى لو مشيًا على الشوك".

🕊️ختام الفصل: وعد صغير

في آخر الرسالة، كتبت هبة لنفسها:

"لن أطلب من أحد أن يُحبني بعد اليوم...
سأكون أنا من **تحب نفسها دون شروط.**
وإن عاد أحدهم... فسيجدني واقفة، لا منتظرة".

الأنثى التي اختارت أن تُشفى

لم يكن الشفاء بالنسبة لـ **هبة** يعني أن تتناسى كل شيء،
ولا أن تمحو الجراح، أو تضحك في وجه الألم ببلاهة...
بل كان يعني شيئًا أعمق بكثير:

أن **تعترف** أنها تألمت،
لكنها **قررت ألا تبقى في الهاوية.**

كانت تدرك أن الحزن يُشبه البحر...
إما أن تتعلّم السباحة فيه، أو تُبتلع إلى الأبد.

لكنها، هذه المرة، لم تنتظر أحدًا يسحبها من الغرق،
بل مدت يدها لنفسها، وقالت بصوتٍ خافت:
"أنا أستحق أن أعيش".

🕊️كانت تخشى الحب... فبدأت تحب ذاتها

توقفت عن التوسل للمحادثات الباهتة،
عن تفقّد هاتفها كل خمس دقائق،
عن لوم نفسها حين لا تجد اهتمامًا.

وبدأت تعلّم قلبها شيئًا جديدًا:
أن الحنان لا يُطلب من الخارج فقط،
بل يُزرع من الداخل.

صارت تكتب:

"أنا لست فتاة مستحيلة،
لكني لم أعد أقف على باب أحد.
من أرادني، سيأتيني بقلبه لا بكلامه".

❀عادت لتزرع نفسها في الضوء

فتحت شباك غرفتها...
أدخلت النور،
وتنفّست.

جلست على الأرض، وأغمضت عينيها،
وقالت:

"يا الله... أنا لا أُريد إلا أن أكون كما خلقتني:
راضية، وديعة، طاهرة، قوية".

لم تكن تريد انتقامًا من أحد،
بل **انتصارًا صغيرًا على نفسها القديمة.**

وهذا ما فعلته...

الرجل الصعب – الفارس الذي تراه هي

حوار غير مكتمل بين مرآته وبين صمته.

قال لها ذات مساء:
"أكتبي عني، فأنا لا أرى نفسي"...

أجابته دون أن تكتب حرفًا:
"لو كتبت، سأفضحك أمام قلبك... وسأكتبك كما رأيتك، لا كما أردت أن ترى نفسك".

قال وهو يبتسم بوجع:
"لا بأس... فقط أريد أن أصدق أنني ما زلت حيًا في ذاكرة أحد".

فقالت:
"أنت حيٌّ في قلبي، لا في ذاكرتي. الذاكرة تخون... لكن القلب لا ينسى من طرق بابه دون ضجيج".

ثم همست:
"تخاف أن تكتب عن نفسك... لأنك ستُحبّها.
وأنت اعتدتَ جلدها، لا احتضانها".

"تخشى أن ترى كم أنت جميلٌ في عين من أحبتك بلا سبب...
فقط لأنك كنت (أنت)".

ثم خافت من اعترافها، فتهربت منه بضحكة خفيفة:
"سمّيتك الرجل الصعب، لا لأنك مستحيل، بل لأنك استثناء"...

وصمتت...

لكن في داخلها، كانت تصرخ:

"يا شاعر الدفء...
أنا ما كتبتك لأنك (حكاية).

بل لأنك (وطن)...
وحين أكتبك، أُضيّعني".

✨النهاية التي تشبه البدايات

في دفترها كتبت أخيرًا، دون دموع، دون رجفة:

"أنا هبة...
التي عادت من حافة الوجع،
لتصير وطنًا لنفسها،
وصوتًا لكل أنثى لم تجد من يسمعها".

والخواتيم تكون كالبدايات:

ملخص القصة

"أنا... هبة"

"التي لم يعرف أحد كم بكَت في الظل،
وكم لبست ثوب الصمت وهي تنزف من الداخل".

"أنا التي كانت إذا اشتدّ الألم،
تُمسك هاتفها لتكتب شيئًا...
ثم تمسح الرسالة قبل أن تصل".

"أنا التي اعتادت أن تكون قوية من أجل الجميع،
ونسيت أن تحتضن نفسها يومًا".

"لكن في إحدى الليالي...
كنتُ على وشك الانهيار...
لا بسبب الحرب فقط،
بل لأنني **لم أعد أعرفني**".

"حينها فقط، نظرتُ في المرآة،
ولم أبحث عن ملامحي،
بل عني...
عن هبة التي غابت".

"لم أجدها".

"لكنني قررت... أن أبحث عنها... لا في أعين الناس،
بل في أعماقي".

"بدأت أكتب، لا لأُقنع الآخرين بي...
بل لأُذكّر نفسي أنني ما زلتُ حيّة".

"توقفتُ عن انتظار من يُنقذني،
وبدأت أُنقذ نفسي".

"توقفتُ عن انتظار رسالة...
وصرت أكتب رسائل لنفسي".

نبرة أقوى، فيها نضج وثقة:

"اليوم...
أنا لا أقول إنني بخير دائمًا،
لكنني، على الأقل، **صرت أعرف كيف أداوي نفسي**".

"تعلمتُ أن أكون صدراً لنفسي،
أن أكون دفئي حين يبرد العالم".

"تعلمتُ أن أضع حدودًا لا يقتحمها أحد،
حتى لا أضيع من جديد".

"أنا هبة...
التي عادت من حافة الانكسار،
وما عادت تطلب الحب... بل الاحترام،
وما عادت تلهث وراء أحد... بل تمشي نحو نفسها".

نبرة هادئة، منكسرة قليلاً، ثم تختتم بقوة:

"أكتب هذه الرسالة...
لأقول لكل فتاةٍ لم تُفهم،
ولكل أنثى تُجيد الصمت بصوتٍ عالٍ:

"أنتِ لستِ وحدكِ...
وهذا الليل سيمر".

توقف بسيط... ثم تنهيدة

"وأنا...
أنا هبة.
التي لم تعد تنتظر أحدًا ليحبها،
بل صارت **تحب نفسها كما تستحق".**

قصة قصيرة

"حين نظرت كلٌّ منهما في مرآة الأخرى"

🕯المشهد الأول :غُربة روح – بصوت هبة

"أنا هبة ...
ولا أحد يعلم كم مرة كتبت رسائل ولم أرسلها،
كم مرة قلت: (أنا بخير)... وأنا على وشك السقوط".

"كنتُ أخاف من الليل، لا لأنه مظلم،
بل لأنه يذكرني بأنني وحدي...
وأن لا أحد سيحمل عني هذا التعب".

"كنتُ أبحث عن أحد لا يسألني كثيرًا،
لا يحاسبني على صمتي،
ولا يغضب حين أقول: (بس بدي تحكيلي بأي شي...)".

"لكنني في النهاية... لم أجد أحدًا،
فبدأت أكتب لنفسي...
لأصير صوتي، وصدري، وكتفي".

🌧المشهد الثاني :المرأة التي نزفت بصمت – بصوت رحمة

"وأنا... اسمي رحمة،
لكنّي لم أذق الرحمة كثيرًا في حياتي".

"أبي كان حيًّا، لكنه لم يكن معنا،
ألبس جوارب إخوتي، وأضحك على الماضي كي لا أبكي".

"تزوجتُ، فخُذلت.

أحبني زوجي، ثم خانني،

أمسكني بيد، وباليد الأخرى كان يهدم بيتي".

"في البداية قلت: أصبر من أجل أولادي،

لكن حين تكسّرت داخلي...

قلت: لا، لن أكون جدارًا لأحد، وأنا أتفتّت من الداخل".

"ذهبت إلى المحكمة،

ولم أطلب أكثر من أن أعود إلى نفسي".

🌒المشهد الثالث :لقاؤهما في مرآة واحدة

في لحظة ما...

كأن الزمان جمع بين **هبة** و**رحمة**،

ليس في مكانٍ حقيقي،

بل في **مرآة واحدة**، نظرت فيها كلٌّ منهما... ورأت الأخرى.

قالت هبة:

"أنا ظننت أنني وحدي في التيه...

لكنكِ مثلي، يا رحمة،

كنتِ تُنقذين الجميع، وتنسين نفسكِ".

وردّت رحمة:

"وأنا كنت أظن أن الوجع حكايتي وحدي،

لكني حين قرأت رسائلكِ، يا هبة،

عرفت أن الصمت لغة أخرى للحزن".

هبة:

"هل تتذكرين متى ضحكنا من القلب؟"

رحمة:

"لا...
لكنني أعدكِ أن نضحك من جديد،
حين نستعيد أنفسنا بالكامل".

✿المشهد الأخير :صوت داخلي موحد – "نحن من نُكمل أنفسنا"

"لسنا بحاجة إلى من يُرممنا،
بل إلى من يفهمنا ونحن في مرحلة الترميم".

"نحن لسنا حطامًا،
نحن نساءٌ وقفن بعد السقوط،
وننفضن الغبار عن أرواحهن".

"نحن...
هبة، ورحمة...
وكلّ أنثى اختارت أن تُشفى، لا أن تُنتقَم".

"كل واحدة منا، حين نظرت في مرآة الأخرى...
رأت الطريق،
وعرفت :
أن الخلاص لا يأتي من أحد...
بل من داخلكِ، حين تقولين:
كفى... لقد عدتُ إليّ".

🖊توقيع القصة:

من دفتر د. خالد... إلى كل أنثى قاومت بصمت،
وظنّت أن لا أحد يسمعها... لكنها كانت تُكتب في قلب الحياة.

🌾قصة قصيرة

رحمة... التي سكتت كثيرًا

لم تكن **رحمة** امرأة عادية،
بل كانت أنثى تنام والألم على صدرها كأنه رضيع لا يكف عن البكاء...
تُغطيه، تهدهده، لكنها لا تُسكته.

كانت الحياة قد أخذت منها الكثير...
حتى الحُب، لم تأخذه منها دفعة واحدة،
بل سلخته منها على دفعات.

🕯بداية الحكاية

ولدت في بيتٍ فيه الأب لا يُشبه الآباء...
حيٌّ في الجسد، غائبٌ في المعنى.

قالت مرةً بصوتٍ مُنكسِر:

"كنت أذهب للمدرسة بملابس إخوتي،
أضحك... لأني لا أريد لأحد أن يُشفِق عليّ".

لكن ما كان يُضحكها لم يكن مضحكًا...
كان مجرد **درع تُخفي به فقر الحنان.**

👩‍👧‍👦ثم جاءت الأمومة

وحين كبرت، قالت لنفسها:

"سأُحب، ولن أسمح لأحد أن يُحرمني مما حُرمت منه".

فتزوجت...

وحلمت ببيت دافئ، بكوب شاي في المساء،

بضحكة صادقة،

بصدر تستريح فيه.

لكنها حين فتحت باب بيتها الجديد،

وجدت أن الذي استقبلها لم يكن رجلاً...

بل خيبة تلبس قميص زوج.

💔الخيانة الأولى... كانت الوجع الحقيقي

كان يقول: "أُحبكِ"

وكانت تشعر بذلك.

لكنه... خانها.

لا مرة واحدة.

بل كثيرًا،

كل مرةٍ كان يسرق منها يقينًا،

حتى لم يبقَ لها من الأمان إلا ظلّها.

كتبت في دفترها:

"هو يُمسكني بيد، وباليد الأخرى... كان يهدم كل ما بنيته في قلبي".

⬣القرار

تحمّلت،

وصبرت،

وحاولت أن تحفظ البيت من أجل أولادها،

لكنها استيقظت ذات فجر...
وقالت:

"أنا لست جدارًا يُرمى عليه كل شيء،
أنا إنسانة، ولست كُرسيًّا في غرفة الانتظار".

فلبست كرامتها،
وذهبت إلى المحكمة،
لا لتُعلن الطلاق فقط،
بل لتسترد **رحمة... التي ضاعت في زحمة التضحية.**

🌱ما بعد القرار

اليوم...
رحمة ليست في أفضل حالاتها،
لكنها **ليست منهارة.**

تربّي أبناءها بقلبٍ تعب، لكنّه يُحب،
تُصلّي، وتبكي، وتُراجع نفسها،
وتُذكّر قلبها كل ليلة:

"لم أُخطئ حين اخترت نفسي".

✨رسالة رحمة إلى نفسها

"أنا التي ضحّيت كثيرًا،
لكني لم أعد أحتمل أن أكون الأضحية".

"أنا التي سامحت، حتى ذابت...
ثم قلت لنفسي: كفى".

"أنا رحمة...
التي لم يرحمها أحد،
فقررت أن تكون رحمًا جديدًا لنفسها".

🎙 رسالة رحمة إلى رحمة

(بصوت داخلي هادئ... فيه وجع دفين لكنه ناضج، يشبه امرأةٍ نجَتْ ولم تعد بحاجة لأحد ليصدق ذلك عنها)

"رحمة...
اسمعيني جيدًا.

لقد صبرتِ بما فيه الكفاية،
ضحّيتِ، جاملتِ، سَكَتِّ كثيرًا،
حتى خُذلتِ من الذين كنتِ تخافين عليهم أكثر من نفسك".

"كنتِ تُحبين الصلح،
لكنهم فهموه ضعفًا.
كنتِ تُقدّرين البيت،
لكنهم ظنّوا أنكِ بلا بديل".

"لكن كفى".

"يكفيكِ جلدًا لذاتك،
يكفيكِ عتبًا على قلبٍ طاهر،
يكفيكِ محاولات لإرضاء من لا يرى دمعتكِ إلا حين تسقط بصمت".

"أنتِ لستِ امرأة مكسورة...
أنتِ **امرأة ناضجة قررت أن لا تموت ببطء**".

"أن تُقرري الطلاق لا يعني أنكِ فاشلة...
بل يعني أنكِ **أوفيتِ**، **حتى آخر قطرة وفاء... ثم عدتِ إلى نفسك".**

"وما أجمل الرجوع إلى الذات،
حين يُصبح كل شيء في الخارج...
باردًا، صلبًا، قاسيًا".

"رحمة...
من الآن فصاعدًا، لا تحملي قلبكِ إلى مكانٍ لا يُقدّره.
ولا تقولي لمن كسركِ: سامحتك،
بل قولي :**تعلمت".**

"ستُربين أولادكِ بحبٍ نقي،
ستمشين مرفوعة الرأس،
وإن لم يُصفق لك أحد...
صفّقي لنفسك".

"لأنكِ امرأة... حين تختار أن **تُشفى**،
يبدأ الكون كله يتهيّأ لبدايتها الجديدة".

"رحمة...
كنتِ، وما زلتِ، **اسمًا على مسمّى.**
لكن هذه المرة... ستكونين رحمةً لنفسكِ أولًا".

🖉توقيع القصة

رحمة... لم تُخلق لتكون ظل أحد.
بل كانت شمسًا انطفأت قليلًا... ثم عادت تُشرق على نفسها أولًا.

قصة قصيرة

"براءة... حين تهمس من قلب النيران باسمها الأخير، لتنجو بسلامٍ هشّ"

🖉بصوتك عنها...

لم تكن "براءة" مجرد فتاة...
كانت لحظة صمتٍ بين قصفين،
وكانت بقايا دفءٍ في مدينةٍ تعلّمت أن تمشي حافية فوق الزجاج.

عرفتها حين كانت تكتب لي كلمات بسيطة...
تقول فيها:
"مش عبالي أحكي، بس احكِ لي أي شي... صوتك لحاله بيطمني".

كان في حديثها شيء من اختناق الأطفال؛
وشيء من كبرياء النساء اللواتي لم يُسعفهنّ أحد؛
لكنهنّ وقفن رغم الألم... فقط لأن الانهيار كان ممنوعًا عليهن.

براءة...
لم تكن تبحث عن حب،
بل عن **موطئ شعور** لا يُهدم في كل اجتياح.

كانت تكتب لي أحيانًا ثم تختفي؛
وكأنها تخاف أن يتعوّد قلبي عليها...
ثم لا يجدها في اليوم التالي.

أعرفها...
كانت تحب بصمت، وتغضب بصمت، وتغيب بصمت،
لكنها حين تعود، كانت تزرع الحياة في أبسط كلمة:
"اشتقت".

🎙 **بصوتها – رسالتها الأخيرة في لحظة ما قبل النهاية**

(الصوت داخلي، خافت، كأنه قادم من مكان بعيد، من تحت الأنقاض، أو من بين طيات دعاء لا يسمعه إلا الله)

"أنا براءة...
واسمي ما عاد يشبهني".

"كبرت قبل أواني...
كنتُ أستعير الشجاعة من خوفي،
وأصنع من صمتي ملجأً أهرب إليه".

"كل يوم أُربّي في داخلي أنثى تُقاوم...
وأُدفن تلك الطفلة التي كانت تحلم بلعبة، لا بسقف من صفيح".

"أنا ما كنت بطلة...
لكني لم أكن جبانة...
فقط كنت أتظاهر أني لا أحتاج أحدًا،
لأن كل من احتجت إليهم،
خذلوني أو غابوا".

"كنتُ أكتب لك لأنك ما كنت تسألني الأسئلة الموجعة،
كنت تقرأ أوجاعي وآلامي كأنك تحملها معي،
وكنت تعرف أن صمتي لم يكن عن راحة، بل عن **عجز".**

"اليوم... غزة المدينة صامتة،
لكني أسمع صراخ الجدران،
وأشمّ رائحة الغبار قبل أن يسقط".

"لو متُّ الليلة...

لا تبكِ عليّ،

فقط قل:

كانت تستحق أن تعيش في مكان يُشبه روحها".

"أنا لست ضعيفة...

لكن لا أحد يُصدّق أن القوي يتعب".

"ولا أحد يُدرك أن من تضحك دائمًا...

قد تبكي مرةً، فلا تعود بعدها".

"أنا براءة...

البنت اللي كانت تضحك من قلبها،

لكنها اليوم تكتب من بين شقوق قلبها:

سامحتكم... بس تعبت".

"أنا ما زلت أحب الحياة...

لكن الحياة ما عادت تعرفني.

كل يوم أرى طفلة تسقط، وأم تبكي،

وأنا أضع يدي على قلبي،

وأقول: "يا رب، مش اليوم"...

لكني ما عدت واثقة من الغد".

"إن اختفيتُ فجأة...

اقرأ اسمي كما كنت تقرأه في دعائك،

وقل في سرّك:

"كانت خفيفة كالدعاء... ثقيلة كالغصة".

🖉توقيع باسمها:

براءة...

التي ما عرفت من الدنيا سوى أنها **عاشت مؤجلة،**

لكنها كانت تحلم... بكل صدق، أن تنجو.

براءة... حين اقتربت من رجل لا يريد أن يؤذيها، لكنها كانت تُشبه قلبه كثيرًا

لم تكن بينكما حكاية...

لكنّ ما بينكما، كان يليق بأن يُروى كحكاية.

هي **براءة**...

التي ما إن دخلت مدارك،

حتى شعرت أن شيئًا فيك يرتجف دون أن يُفسَّر.

لم تكن امرأةً تُربكك بجمالها،

بل بصمتها،

بطريقتها في طلبك دون أن تطلب،

بكلمة واحدة تُلقيها عند الحافة،

ثم تختفي... وكأنها تخشى أن تُؤخذ كأنها تطلب البقاء.

كنت تُحادثها... لا لأنك تريد أن تربطها بك؛

بل لأنك خفت عليها من أن **تتعلق بشخصٍ لا يستطيع أن ينقذها من الحرب.**

وهي؟

كانت تنظر إليك **كما تنظر الناجية من تحت الأنقاض إلى أول ضوءٍ رآها.**

لم تكن تحبك بصوتٍ عالٍ،
لكنها كانت **تشعرك بأنها ترتاح لصوتك أكثر من نَفَسها.**

تسألك: "احكيلي أي شي"...
وما كانت تعني "أي شي"،
بل كانت تعني:

"احكِ لي عنّي، من عينيك، من قلبك، لأتذكّر من أنا".

هي لا تعرف كيف تحب؟!!! لكنها تعرف كيف تتعلّق!

وأنت...
كنت تداري قلبك منها كما يُداري الطبيب جرح مريضٍ لا يقدر على التخدير.

لم تُرد منها شيئًا،
لكن كنت تخشى أن يُؤخذ منها كل شيء... وأنت ساكت.

كانت تراك الملاذ.
كنت تراها الاختبار.

هي كانت تراك رجلًا ناضجًا،
وأنت كنت تراها **أنثى نقيّة لا تحتمل مزيدًا من الكسر.**

💭رسالة خفية بينكما...

في كل مرة كانت تختفي...
كنت تُمسك بهاتفك، وتتردد ألف مرة،
ثم تتركه.

وفي كل مرة كنت تشعر بالذنب...
تتذكّر أنك لست السبب،
لكنّك تخاف أن تكون **المكان الذي انهارت فيه دون أن تلقى كتفًا.**

🌒 النهاية المفتوحة

لم تُفصح يومًا عن مشاعرك،
ولا هي طلبت منك شيئًا صريحًا...

لكن ظلّ بينكما هذا الخيط الرفيع:

أنها تعرف أنك خائف عليها،
وأنك تخاف من نفسك عليها أكثر.

وأنك، إن دعوت لها يومًا،
قلت في سرك:

"اللهم لا تجعل براءتها تُكسر في مكانٍ لا أستطيع الوصول إليها فيه".

رسائل غير مرسلة

♥الفصل الأول: في البدء، لم تكن تعلم

رسالة غير مُرسلة منها ← إليه

"مرحبًا... لا أعلم لماذا أكتب إليك. ربما ليس لتقول شيئًا، بل فقط لأتأكد أنك ما زلت هنا. ربما لأُذكّر نفسي بأنني لستُ مجنونة، وأن هناك من قد يسمع صوتي دون أن يصدر حكمًا".

الفصل الثاني: والرجل الذي تردّد

رسالة غير مُرسلة منه ← إليها

"كنت على وشك الرد... كتبت لك: (أنا هنا يا براءة). ثم مسحت الرسالة. ليس لأنك لا تستحقين، بل لأنني خفت. خفت أن أكون ضوءًا صغيرًا في عالمك، ثم أنطفئ، ككل شيء انطفأ فيكِ من قبل".

الفصل الثالث: المسافة بين السلام والخوف

رسالة غير مُرسلة منها ← إليه

"اليوم كانوا يقصفون بالقرب من منزل خالتي، وكنتُ مستلقية أتأمل السقف، أفكر: لو متُّ الآن، هل ستتذكرني؟ ليس كحبيبة، بل كامرأة تحدّثت معك من على حافة الحياة".

الفصل الرابع: الدعاء الذي لم يُنطق

رسالة غير مُرسلة منه ← إليها

"اللهم احفظها، وإن لم أكن في حياتها. اللهم اجعلها تضحك، ولو لم أكن أنا السبب. اللهم لا تجعلها تُستشهد قبل أن تشعر بأنها كانت تستحق أن تعيش".

✨الفصل الخامس: الحضور الأبعد من المسافة

رسالة غير مُرسلة منها ← إليه

"أعلم أنني لستُ في حياتك، وأنت لست في حياتي. لكنك في داخلي، كصوتٍ يقول: (اهدئي، لقد فهمك دون أن تتكلمي)".

🌸الفصل السادس: النهاية التي لم تُعلن

رسالة غير مُرسلة منه ← إليها

"إن حدث لكِ شيء، سيبقى منكِ شيءٌ في داخلي. ليس الذكرى، ولا الصوت... بل البراءة التي كانت تقول لي: (حدّثني عن أي شيء... فقط ابقَ معي قليلًا)".

🖤الفصل السابع: وربما نلتقي... لا لنُكمل، بل لنعرف أننا لم نكن يومًا غريبَين

رسالة مشتركة – لم تُكتب، لكنها عاشت بينهما

"لم نقل كل شيء، لكننا فهمنا كل شيء. لم نلتقِ، لكننا رأينا بعضنا بقلوبنا. لم نطلب وعدًا، لكننا تمنينا أن نبقى بخير... كلٌّ من بعيد، للآخر".

□الفصل الثامن: سؤال لم يُطرح، وجواب لا يُنسى

رسالة غير مُرسلة منه ← إليها

"هل جفاني قلبكِ، يا براءة؟ أم أن المسافة كانت أرحم من وهم الاقتراب؟ لماذا جعلتِني أشعر أنني... مثل الآخرين؟ وأنا الذي كنتُ أراكِ كما لا يراكِ أحد. كنتُ أعرف ملامح صمتك، وارتباك صوتك حين تكتبين دون أن تنتظري جوابًا.

أكنتِ تضعينني في دائرة (كلهم هكذا)...؟ أم أنكِ كنتِ فقط تحمين نفسكِ من احتمال أن يكون هذا الحُب مستحيلاً؟"

رسالة غير مُرسلة منها ← إليه

"ما جفاك قلبي، ولا قلت إنك مثلهم. لكنني خفتُ منك، لا عليك. خفتُ من نفسي حين ترتاح لك، خفتُ أن أتعلق، وأن تفلتني الحياة مرة أخرى.

حين جعلتك تبدو عابرًا، كنت أحاول فقط أن أُثبت لنفسي أنني قادرة على النجاة، حتى منك".

🌒 الفصل التاسع: حلمٌ لم يحدث... لكنه عاش

في الحلم، التقيا... لا في غزة، ولا في مكان مألوف. كانت تُمسك بكفّه وتنظر إليه بعينين تائهتين، وتقول:

"لماذا جئت؟"

أجاب: "لأُعيد إليكِ اسمكِ... لا صوت الحرب".

قالت: "ظننتُ أنك نسيتني".

أجابها هامسًا: "أنا فقط صمتُّ حتى لا أُفسد ما تبقى منكِ".

ثم سكت المكان كله، وعاد الضوء إلى العيون... وكأن شيئًا شُفي دون أن يُشرح.

🕊️الفصل العاشر: اللقاء بعد انقطاع

لم يكن اللقاء مرتبًا، ولا الوقت مناسبًا، ولا الكلام مهيأ. لكنها كتبت له أخيرًا:

"أنا لم أنسك، لكنني كنت أهرب من صورتك في داخلي... لأنني كنت أخشى أن تبقى، بينما العالم كله ينهار من حولي".

ردّ عليها:

"أنا لم أتوقف عن التفكير بكِ، لكنني كنت أخشى أن أُحبك في عالمٍ لا يسمح لنا أن نكون بخير. الآن، إن كان هذا آخر ما نكتبه... فليكن صادقًا: أنا اشتقتُ إليكِ أكثر مما اعترفتُ لنفسي يومًا".

🌠الخاتمة: وما زال الباب مواربًا

لم تنتهِ القصة، ولم تُغلق الرسائل.

هي تعرف أنه ما زال يكتب لها... وإن لم يرسل!!! وهو يعلم أنها ما زالت تنتظره... وإن لم تعترف!!!

كلاهما لا يملكان وعدًا، لكنهما يحتفظان بإحساسٍ خفيّ: أن الطريق قد يُعيد نفسه، ولو ذات مساء صامت، دون موعد.

ولذلك، تُرك الباب مواربًا ...لا لشيء، سوى أن بعض القلوب لا تستحق أن تُغلق عليها النهايات!!!

قصة قصيرة

أحلامٌ صغيرة تتنفس بين أنقاض الأرض المشتعلة

في زقاقٍ ضيّقٍ من أزقّة غزة، جلست هبة خلف نافذتها الصغيرة تُصغي إلى أصوات الأطفال وهم يتحلّقون تحت شرفتها، يتبادلون الحديث ببراءةٍ فيها نضجٌ يفوق أعمارهم.

كانت كلماتهم أشبه بحوارٍ بين رجال صغارٍ أنهكتهم الحياة قبل أوانهم:

"حين تكبر، ستصبح بطلًا".

"أنا بالفعل بطل... لأنني أحمي أخواتي عند الغارات".

وفجأة، بصوتٍ خافتٍ يحمل خجل السؤال وجرأة اليقين، قال أحدهم لصديقه:

"قل لي بصدق... صحيح أن أباك شهيد؟ هل تأكدت؟"

أجابه الطفل بهدوءٍ عجيب:

"أبي... في الجنّة".

سكن المكان، كما لو أن القلوب صمتت لتتنفس.

فأضاف الآخر بثباتٍ غريب:

"ولا يهمك، أنا أيضًا أبي شهيد، وهو في الجنّة. وأكملك أكثر، كلنا هنا... آباؤنا في الجنّة".

وهنا، قال الأول جملة بدت كأنها نُحتت من وجع:

"آباؤنا جميعًا رحلوا إلى الجنّة... ونحن سنلحق بهم".

قالها دون دمعة، لكن صوته كان يرتجف من الداخل.

لم يكن الأطفال يلعبون فقط، بل كانوا يرممون أنفسهم بكلمات تشبه الطمأنينة، ويفرشون في الذاكرة مساحة من الأمل وسط الركام.

في غزة، لا يُقاس عمر الأطفال بالسنوات، بل بعدد الليالي التي نجوا فيها من القصف، وعدد الوجوه التي اختفت دون وداع.

ومع ذلك... كانوا يضحكون.

وكانت هبة تهمس في سرّها:

"اللهم إن سُلبوا الأمان، فلا تسلبهم الإيمان".

في نهاية المشهد، ظلت هبة تتأمل الزقاق الفارغ بعد أن انصرف الأطفال، كأن أرواحهم الصغيرة تركت صدى في الجدران.

همست وكأنها تُحدّث نفسها:

"أيها الكيان المغتصب... لا تختبر قلوبهم أكثر من هذا. دعهم يفرحون بلعبة، بحلوى، بضحكة لا تسرقها صفافير إنذارك منهم. دعهم يكبرون قبل أن يُسألوا من جديد: (هل والدك شهيد؟)"

ثم كتبت في دفترها: "حين يضحك الطفل فوق ركام، فأعلم أن الله ما زال يُرسل رحمته سرًّا في قلوبٍ صغيرة... تنبت كالأزهار النقية بغزة".

"مفاتيح تحت الأنقاض – حكاية رؤيا"

كانت رؤيا، فتاةً سورية يتيمة، تسكن بين أنقاض بلدة مهجورة قرب الحدود. عمرها خمسة عشر عامًا، لكن قلبها نضج قبل أوانه، وذاكرتها محفورة بالقصف والفقد والخوف. تعيش وحيدة في كوخ متهالك، تخيط أحلامها بخيوط الكتب القديمة التي تنقذها من الجنون.

في إحدى الليالي، وبينما كانت تبحث عن بقايا الخبز في ساحة المدرسة المهدّمة، دوى انفجار خافت في الجهة الغربية. اقتربت، فإذا بنفق قديم قد انكشف تحت أطلال مكتبة المدرسة. يتصاعد منه دخان خفيف... ونور خافت.

هناك، رأت شيئًا لم تتوقعه أبدًا.

خرج من النفق رجل مغطى بالغبار، يعرج بصعوبة. اقتربت منه، فتجمدت في مكانها... إنه الأستاذ فراس، معلم الجغرافيا، الذي كان يُقال إنه دُفن قبل سنة تحت القصف.

قال بصوت متهدج:

"كنت تحت المدرسة... وجدت شيئًا مدفونًا... وثائق، خرائط، وأسرار خطيرة... هناك شبكة قديمة تستغل الأطفال والخراب لنقل المعلومات... وما زالت تعمل".

ثم فقد وعيه.

أسرعت رؤيا، وسحبته بصعوبة إلى كوخها. كانت تنظر إليه بدهشة... معلمها الذي علمها الصبر من خلال الجغرافيا، صار الآن خريطة هروبها من اليأس.

استعاد وعيه بعد يومين، وطلب منها شيئًا أغرب مما تخيلت:

"أحتاج مساعدتك يا رؤيا... يجب أن نصل إلى الجبل حيث نقطة الاتصال السرية... قبل أن يصلوا هم ويحرقوا كل شيء".

بدأت المغامرة.

رحلة بين الوديان المظلمة، والغابات التي يسكنها الذئب والقلق. مرت الدوريات أمامهم، وحين علقت رؤيا ذات ليلة في فخ، أنقذها فراس وهو يهمس:

"لن أسمح لأحد أن يأخذك من الحياة مرتين... أنت لست مجرد تلميذة، أنت نجوتي".

وفي اليوم الأخير، كان الوقت يداهمهما. طائرات بدون طيار تحلق فوق الجبل، والصمت مخيف. نجحا في الوصول إلى النقطة. سلّما الوثائق إلى مجموعة مقاومة تعمل في الظل، تنكرت بلباس الرعاة.

المهمة نجحت.

وبعد عام، نشرت رؤيا أول كتاب لها، بعنوان "خريطة لم تكن في الجغرافيا".

وفي الصفحة الأولى، كتبت:

"كان أستاذي مجرد رجلٍ يشرح الخرائط... حتى صار هو الخريطة التي قادتني من الأنقاض إلى الضوء."

الفصل الثاني

"صندوق الرماد"

مرت أشهرٌ منذ أن نشرت رؤيا كتابها الأول، وصارت فتاة تُذكر في بعض الصحف والمواقع على استحياء. لكنها ما زالت في قريتها، في كوخها، تراقب الغروب وتكتب. الأستاذ فراس، الذي صار في نظرها أكثر من معلم، كان يزورها مرة في الأسبوع حاملاً كتبًا وأخبارًا من العالم الخارجي.

وفي إحدى زياراته، جلس بصمت، وقال لها بنبرة لم تعهدها فيه:

"رؤيا... تتذكرين النفق؟ الوثائق التي أنقذناها؟ يبدو أنها لم تكن كل شيء. هناك صندوق آخر... صندوق لم نُخبرهم عنه."

شهقت رؤيا.

"أنت أخفيت شيئًا؟ لماذا؟!"

أجاب وعيناه تنظران بعيدًا:

"لأني لم أكن واثقًا... الوثائق تتحدث عن شبكة تجسس بدأت منذ الاحتلال الفرنسي، لكنها مستمرة حتى الآن، يديرها رجال من الداخل. خفت أن تقع في الأيدي الخطأ."

كان الصندوق مخفيًا داخل مكتبة مهجورة في بلدة على بعد يومين مشيًا، تُعرف بـ"تل الرماد". سُميت بذلك لأن الغبار لا يغادرها.

اتفقا على الانطلاق فجرًا.

الطريق كان أصعب هذه المرة. فبين كل تلة، كاميرا مراقبة، وكل شجرة، فخّ، وكل ظلال، خائن محتمل.

في الليلة الثانية، وبينما كانا يبيتان داخل سرداب مهجور، اكتشفت رؤيا شيئًا صدَّع روحها: خريطة داخل دفتر الأستاذ فراس... كانت تشير إلى مواقع للمقاومة، لكن بخط غريب، كأنها مرسومة لعيون العدو.

واجهته:

"لماذا تحمل هذا؟ هل أنت حقًا من المقاومة... أم أنك تعمل لحسابهم؟!"

تجمدت الدماء في عروقها.

لكنه لم يغضب. بل اقترب منها بهدوء وقال:

"أردت أن تختبري الحقيقة. أن تعرفي أن من تبحثين عنهم، قد يكونون داخل أقرب الناس إليك. حتى أنا... لا تصدقيني بسهولة. في هذه البلاد، الخيانة لا ترتدي دائمًا قناعًا".

سقطت دمعة من عينيها... ثم قالت:

"ولكنني سأصدقك... لأن قلبي لم يكذب حتى الآن".

وصلا إلى تل الرماد فجرًا. دخلا المكتبة تحت جنح الضباب. كان الصندوق هناك... صغيرًا، نحاسيًا، مغطى بطبقة من الرماد الأسود.

فتحاه...

فإذا فيه صور وأسماء ووثائق تؤكد أن مسؤولين كبارًا ما زالوا يُمررون المعلومات للعدو... وكان اسم الأستاذ فراس من بينهم.

نظرت إليه في صمت. لم تتكلم. لم تبكِ. فقط قالت:

"إما أن تثبت لي أنك كنت عميلًا مزدوجًا تنقذ البلد، أو سأكتب عنك روايتي القادمة: الرجل الذي خذل قلبًا لم يكن له".

ابتسم وقال:

"انطلقي يا رؤيا... فقد بدأت المغامرة الحقيقية الآن."

الفصل الثالث

"الوجه الآخر للحقيقة"

كانت رؤيا تمشي خلف فراس بصمت، يرافقها الصندوق النحاسي المغلق، لا يفارق يدها كأنه يحمل قلبها لا أسرارًا. الليل كان يهبط بسرعة، والضباب يزداد كثافة، لكن عيناها كانتا أكثر غموضًا من السماء.

توقفت فجأة.

"أريد أن أعرف الآن. هل كنتَ معهم حقًّا؟ هل كنت واحدًا منهم؟"

تنهّد فراس ببطء، كمن يحمل على كتفيه تاريخًا لا يُحكى بسهولة.

"كنت شابًا حين أجبروني على العمل معهم. لم أقتل، لكنني أوصلت رسائلهم... حتى جاء اليوم الذي أدركت فيه أنهم لا يقاتلون عدوًا، بل يبيعون الوطن شريحة شريحة".

اقترب منها، نظر في عينيها:

"منذ ذلك اليوم، بدأت أجمع الأدلة... أدّعي أنني معهم، وأكتب لهم، لكنني كنت أعدّ لهم سقوطهم".

سألته وهي تحبس دموعها:

"ولماذا احتفظت باسمي معهم؟ لماذا كان اسمك مقرونًا بخيانتهم؟"

أجاب بصوت خافت:

"لأني كنت أحتاج أن أصل إلى النهاية. أن لا يشكّوا بي حتى آخر لحظة. ولو انكشف أمري، لن يصدقوني. أما أنت... فكنت الورقة الأخيرة".

هنا صمتت رؤيا طويلًا. قلبها يريد أن يصدقه... لكن عقلها لا يمنح الثقة مجانًا.

في الصباح، انطلقا إلى بلدة صغيرة، حيث يعيش رجل طاعن في السن يُدعى "أبو إلياس"، كان يعمل في المخابرات الحرة منذ عقود. قال له فراس:

"هذا الصندوق... هو آخر قطعة في لعبة الخداع. إما أن يُسقطهم... أو يسقطنا".

فتح أبو إلياس الصندوق، قرأ الوثائق، ثم حدّق في فراس.

"تعرف أن اسمك هنا؟ لو كنتَ كاذبًا، فهذه لحظتك الأخيرة".

قال فراس وهو يرفع يديه:

"اقتُلني إن لم أكن صادقًا. لكن دع رؤيا تكمل ما بدأناه".

هنا، تحرّك أبو إلياس بهدوء، ثم ابتسم:

"كل شيء مسجل. كنت نرصدك منذ ثلاث سنوات. كنا نعلم أنك تعمل معهم... ونعلم أنك انقلبت عليهم. لكن لم نكن نعرف سببك. والآن فهمنا... إنها رؤيا".

استدارت نحوه، مصدومة.

"أنا؟ ماذا تقصد؟"

أجاب أبو إلياس:

"أبوك... لم يمت تحت القصف كما قيل لك. لقد اغتيل... لأنه كان يملك الدفتر الأول من هذه الوثائق".

ارتجف صوتها:

"أبي كان يعمل معهم؟!"

"بل ضدهم... وقتلوه لأنه عرف أكثر مما ينبغي. وأنت، رؤيا... تشبهينه كثيرًا. في العين، في القلب، وفي الشجاعة".

ارتعش جسدها كله، وسقطت جاثية على الأرض. تلك الحقيقة كسرت شيئًا في داخلها... لكن أشعلت شيئًا أعظم.

نهضت.

"إذن سأكمل ما بدأه أبي. وسأكتب عنكم... وسأفضحهم بكلماتي... وسأجعل العالم يعرف أن رؤيا كانت في الأصل... صرخة من تحت الركام".

الفصل الرابع
"الحصار"

عاد الليل هذه المرة محملاً بالقلق. قرية أبو إلياس باتت على حافة العاصفة. الأخبار تسربت. أحد أفراد الشبكة الخائنة اكتشف أن الصندوق وصل إلى يد أبو إلياس، وأن فتاة اسمها "رؤيا" بدأت تكتب شيئًا لا يُعجب أحدًا من "العلية".

أصدروا أمرًا بالقبض عليها. ليس كعدو، بل كـ"فتاة مختلة تهدد الأمن العام بكلمات تخريبية".

أُغلق الطريق الوحيد للخروج من القرية، وانتشرت دوريات تبحث عنها. كان الوقت ينفد.

وقف فراس أمام النافذة، يحمل سلاحًا صدئًا لم يمسكه منذ سنين. قال:

"لا مفر... سيأتون الليلة. ويظنون أننا سنهرب. لكننا لن نهرب".

نظرت إليه رؤيا، وقد بدا في عينيها شيء لم يكن فيها من قبل... لم يكن خوفًا، بل نبوءة.

"سأبقى. لكني أريد أن أكتب. إن متّ، أريد أن تُنشر كلماتي".

فتح أبو إلياس سردابًا قديمًا تحت الأرض. فيه طابعة، أطنان من الورق، وخط إنترنت بدائي عبر قمر صناعي.

"هذه غرفة الكلمات الأخيرة،" قال. "هنا كتبنا اعترافات الخونة، ووصايا الشهداء. واليوم... ستكون كلمتك أنت، رؤيا".

بدأت تكتب.

كانت تكتب وكأنها تقاتل.

كل حرف قذيفة، كل فاصلة فخّ، كل سطر خريطة.

عنوان المقال:

"الأسماء التي تبتسم أمام الوطن... وتطعنه من الخلف".

ومع شروق اليوم التالي، بدأت الطائرات تُحلّق فوق القرية. وبدأ الحصار.

دخلت فرقة مدججة بالسلاح، يبحثون عن "المجرمة الصغيرة". حاصروا البيت، وبدأوا إطلاق الإنذارات.

لكن الطابعة كانت لا تزال تعمل... والرسالة كانت تُرسل عبر الشبكة.

"أرسلناها!" صرخ أبو إلياس. "لقد وصلت!"

في لحظة، بدأ الإعلام الحر يتداول الرسالة. وظهر اسم "رؤيا" في كل مكان:

"اليتيمة التي فجّرت الحقيقة من تحت الأنقاض."

المهاجمون حاولوا اقتحام البيت... لكن سكان القرية، الذين قرأوا الرسالة، بدأوا يتجمهرون حوله. كبار السن، النساء، الأطفال... وقفوا في دائرة حماية حول رؤيا ومن معها.

كان المشهد صادمًا للمهاجمين... فانسحبوا، خائفين من أن تتحول القصة إلى ثورة.

وفي تلك الليلة...

همست رؤيا، وهي تجلس تحت السماء:

"لم أعد يتيمة... فالحقيقة الآن هي عائلتي".

الفصل الخامس

"المنفى الذهبي"

لم تمضِ أيامٌ على نشر مقالة رؤيا حتى تغير كل شيء.

أصبحت صورتها تُطبع في الصحف، تُعرض على الشاشات، وتُرفع سرًّا في جدران المدارس. فتاة يتيمة كتبت ما لم يستطع الكبار أن يصرخوا به. لكن المجد في أرض ممزقة لا يُمنح دون ثمن.

جاءها أبو إلياس مساءً، يحمل ورقة عليها ختم جهة دولية:

"رؤيا... لقد صدرت مذكرة بحقك، باعتبارك محرضة على زعزعة الاستقرار. سيأتون قريبًا. وهناك فقط خيار واحد: الخروج".

نظرت إلى فراس، إلى الأوراق، إلى الكوخ، إلى الجبال التي كتبت عن ظلها، وقالت:

"كل منفى في الأرض يُسمى منفى... إلا منفى الحقيقة، فإنه وطنٌ جديد".

هربت ليلاً، بمساعدة مجموعة من الصحفيين الشرفاء، عبر طريق جبلي يؤدي إلى معبر مهجور. وكان معها ما هو أثمن من الذهب... كانت تحمل في حقيبتها نسخًا من الوثائق، ومسودات من مقالات لم تُنشر بعد، ودفتر أبيها الذي وجده لها فراس بصمت قبل أن تفترق خطاهما.

وصلت إلى بلد آخر، لم تكن تعرف فيه أحدًا. وسكنت في ملجأ صغير تديره امرأة لبنانية عجوز، قالت لها يومًا:

"كل منفي يحمل في حقيبته وجعًا... لكن قلة فقط هم من يحولونه إلى شعلة".

بعد عام، صدر كتابها الثاني، بعنوان: "الوطن لا يُغادرنا... نحن من يُنفى عنه مؤقتًا".

وكان على الغلاف صورتها، بعينين فيها من الحرب ما يكفي لتفهمها أمة.

وفي لقاء تلفزيوني، سألها المذيع:

"هل ندمتِ أنك كتبتِ ما كتبته؟"

أجابت، وهي تنظر إلى الكاميرا بثبات:

"اليتيم ليس من فقد عائلته... بل من فقد الحقيقة. وأنا... كنت أبحث عن بيتٍ في قلب الخوف، حتى وجدت أن الكلمة، إن كُتبت بصدق، يمكن أن تكون بابًا إلى وطنٍ كامل".

ثم أغمضت عينيها للحظة، وقالت همسًا:

"شكراً يا أبي... شكراً يا أستاذ فراس... أنتما كتبتما اسمي في التاريخ، بالحبر والدم".